المُخالَفَة بين الأمثال عَنْ طَريق الإستِغْناء عَنْ أَحَدِهما مُطْلَقاً

د. أحمد طيبي ، قسم اللّغة العربية وآدابها ، جامعة سعيدة ، الجزائر
د. ميلود ماريف ، قسم اللّغة الفرنسيـــــة ، جامعة سعيدة ، الجزائر

ملخّـــص

يتناول هذا المقال قضيةً كثيراً ما تحرص العربية عليها وتحاول الخلاص والفكاك منها حتن التّأليف بتن أصواتها في بناء صيغها ومفرداتها ، فتوالي القطع الصّامتيَة المتماثلة على مستوى البنية اللّغوية الواحدة يزعجها ويشكّل مؤونة زائدة على النّاطق بها ، ذلك أنّ الطّبع العربي ينفر من التّضعيف وتوالي الأمثال لما يخلّفه من مشقة تثقل عمل أعضاء النّطق نتيجة قيامها بنفس الحركة مرّتتن متتابعتتن ، فإنْ حدث ذلك سواءً في أوّل البنية اللّغويّة ، أو في وسطها ، أو في آخرها ، فإنها تعْمد إلي المخالفة بينهما اتّقاءً لثقل اجتماع المثلتن ، وبحثاً عن جوانب السّهولة والتّيسير والاقتصاد في الجهد العضَليّ المبذول الذي يؤمّنه التّأليف بتن الأصوات المختلفة .

وتكون المخالفة بتن المثلتن المتتاليتن عن طريق الاستغناء عن أحدهما مُطلقاً دون تعويض ، أو عنْ طريق التّعويض عن المحذوف ، كما يمكن للمخالفة أنْ تكون عن طريق الفصل بتن المتماثلتن .

وأكثر ما تقع المخالفة بتن المثلتن المتتاليتن في الصّيغ (تفعّلَ) ، وَ (تفاعلَ) ، المبنيّة للمعلوم عند إسنادهـــــا إلي مورفيم المضارعة « التّاء » ، فتلتقي مع « تاء » المطاوعة ، المورفيم التّصريفي الآخر الموجود في الصّيغ الماضيَة ، فيتوالي في بداية كل منْها ، مقْطعان صوامتهما متماثلة ، فيحذف أحدهما .

Résumé

Cet article traite, dans le cadre général de (la théorie de l'optimalité), une question à laquelle La langue Arabe veille souvent et essaye de se débarrasser et se détacher d'elle, lors de l'organisation des sons, pour construire ces unités linguistiques, donc la succession des consonnes identiques au niveau du même unité linguistique la perturbe et pèse lourd sur les locuteurs de la langue, en fait l'humeur Arabe n'aime pas la gémination et la succession des consonnes identiques qui alourdit les organes articulatoires qui font le même mouvement deux fois successives, si cela se produit, soit au début de l'unité linguistique, ou au milieu, ou à la fin, la langue Arabe fait la dissimilation entre les deux pour chercher la facilité et l'économie de l'effort qui l'assure la combinaison entre des consonnes différentes.

La dissimilation entre deux consonnes identiques se fait par l'élision de l'un deux sans compensation, ou par compenser la consonne supprimée, ou se fait par la séparation entre les identiques.

Alors l'assimilation entre les identiques se situe de plus en plus dans les formes (tafaʕʕala : **تَفَعّل**) et (tafãʕala : **تَفاعَل**) à la forme active Quand on l'attribue au morphème du temps présent (taa' : **التّاء**) , elle se rencontre avec (taa' el motawa'a), l'autre morphème se trouvant dans la forme, ainsi il va se succéder au début de chaque une d'elle deux syllabes dont ses consonnes sont identique, alors une des deux s'efface.

تقديـــــــم :

تحرص اللّغة العربيّة حين التّأليف بين أصواتها ، شأنها في ذلك شأن اللّغات الطّبيعيّة الأخرى [1] ، أنْ تتجنّب توالي القطع الصّامتيّة المتماثلـــــــة على مستوى البنية اللّغويّة الواحدة ، ذلك أنّ الطّبع العربي ينْفر من التّضعيف وتوالي الأمثال ، لما يخلّفه من مشقّةٍ تُثْقل عمَل أعضاء النّطق نتيجة قيامها بنفس الحركة مرّتين متتابعتين ، فإنْ حدث ذلك سواءً في أوّل البنية اللّغويّة ، أو في وسطها ، أو في آخرها ، فإنّها تَعْمد إلى المخالفة بينهما اِتّقاءً لثقل اجتماع المثْلين ، وبحثاً عن جوانب السّهولة والتّيسير والاقْتصاد في الجهد العضليّ المبذول الذي يؤمّنه التّأليف بين الأصْوات المخْتلفَة .

وقدْ تبيّن موْقف النّحاة العرب ومنْذ اللّحظة الأولى من التّضعيف ، فرفضوه لكُلْفته على ألسِنَتهم ، واسْتعملوا ، للدّلالة على ذلك ، لفظ « الكراهة » [2] وَ « الاسْتِثقال » على وجْه الخصوص ، يقول اِبن يعيش : « وجملة الأمر أنّ اجتماع المثْلين عنْدهم مكروه ، لأنّهم يسْتثقلون أنْ يميلوا ألسنتهم عن موضعٍ ثمّ يعودوا إليه لما في ذلك من الكُلفة على اللّسان ، وقد شبّه الخليل ذلك بمشي المقيّد ، لأنّه يرفع رجله ويضعها في موضعها أو قريبٍ منه ، لأنّ القيد يمنعه من الانْبِعاث وامتداد الخطْو . » [3]

وقال سيبويه : « اِعْلم أنّ التّضعيف ثقيلٌ على ألسِنتهم ، وأنّ اختلاف الحروف أخفّ عليهم منْ أنْ يكون من موضعٍ واحدٍ ... وذلك لأنّه يثقُل عليهم أنْ يسْتعملوا ألسنتهم من موضعٍ واحدٍ ثمّ يعودوا إليه ، فلمّا صار ذلك تعباً عليهم أنْ يدّاركوا في موضعٍ واحدٍ ولا تكون مُهلة ، كرهوا وأدغموا لتكون رفعةً واحدةً ، وكان أخفّ على ألسنتهم ممّا ذكرت لك . » [4] بينما يقول الرّضيّ : « اِعْلم أنّهم يسْتثقلون التّضعيف غاية الاستثقال . » [5]

وقد حدّد ابن مالك (ت 672 هـ) موضع الثّقل في التّضعيف بقوله : « ولأنّ المثْلَين إذا التقيا ، إنّما يحصل الاسْتِثقال عند النّطق بثانيهما ، فكان هو الأحقّ بالحَذْف . » [6]

وتكون المخالفة بين المثلين المتتاليين عن طريق الاستغناء عن أحدهما مُطلقاً دون تعويض ، أو عنْ طريق التّعويض عن المحذوف ، كما يمكن للمخالفة أنْ تكون عن طريق الفصل بين المتماثلين .

المُخالَفَة عَنْ طَريق الاسْتِغْناء عَنْ أَحَدِ المثْلَيْن مُطْلَقاً :

منْ عادة نحو العربيّة إذا توالى فيها مِثْلان ، أن يخالف بينهما عنْ طريق حذف أحدهما مُطلقاً ، إبعاداً لثقل تتابعهما دون أنْ يعوّض عن المحذوف بشيءٍ للشّهرة وكثرة الاستعمال ما لم يؤدّ ذلك إلى إحداث لُبْسٍ في الصّيغة اللّغويّة وبالتّالي خرْق القيد البنيويّ القويّ الحريص على سلامة الصّيغة اللّغويّة دلاليّاً . يقول الرّضيّ : « لا يحذف إلا كثير الاستعمال للتّخفيف ، وتكون الشّهرة دالةً على المحذوف . » [7]

بينما يرى بروكلمان أنّ التّخلّي عنْ أحد المثلين ، في مقطعين متتاليين ، يرجعُ لسبب الارتباط الذّهني بيْنهما ، فتخفيف أحدهما على مستوى الدّماغ ، كأنّه تخفيفٌ لكلاهما ، يقول : « إذا توالى مقْطعان أصواتهما الصّامتة متماثلة ، الواحد بعد الآخر في أوّل الكلمة ، فإنّه يُكتفى بواحدٍ منْهما بسبب الارتباط الذّهني بينهما . » [8]

ويقول فندريس : « كثيراً ما يحدث أنْ تكون نتيجة التّخالـــــــف ، اِختفاء الصّوت لا أكثر ولا أقلّ . » [9]

وأكثر ما تقع المخالفة بين المثلين المتتاليين في الصّيغ (تفَعّلَ) ، وَ (تفاعَلَ) ، المبنيّة للمعلوم عند إسنادها إلى مورفيم المضارعة « التّاء » ، فتلتقي مع « تاء « المطاوعة ، المورفيم التّصريفي الآخر الموجود في الصّيغ الماضيّة [10] ، فيتوالى في بداية كلٍّ منْها ، مقْطعان صوامتهما متماثلة ، فيحذف أحدهما . يقول بروكلمان مرّةً أخرى : « وفي العربيّة يحذف أحد المقطعين من الأصوات الأسنانيّة عنْد التقاء حـــــــرف المضارعة (التّاء) مع (تاء) الوزنين (تفعَّلَ) ، (تفاعَلَ) . » [11]

وهي نفْس الفكرة التي نجدها عند الرّضيّ ، يقول : « إذا كان في أوّل مضارع (تفعَّلَ) ، (تفاعَلَ) تاء ، فتجتمع تاءان ، جاز لك أنْ تخفّفهما . » [12]

بينما يقول الفرّاء في معاني القرآن : « وفي كلّ موضعٍ اِجتمع فيـــــه تاءان ، جاز فيهما إضمار أحدهما . » [13]

تشير فكرة الجواز عند كلٍّ من الفرّاء والرّضيّ ، إلى أنّ اللّغة تقبل الوجهين جميعاً ، لكنّها على الأرْجح تفضّل صيغة التّخفيف لما تختزله من الجهْد ، ولأدلّ على ذلك مراجعة النّص القرآني ، فبالرّغم من أنّ الصّورتين كلتْهما ماثلتان فيه ، إلاّ أنّ صورة الحذف قدْ تضاعفت فيه في مقابل صـــــــورة الإتمام [14] في مثْل قوله تعالى : ﴿ **لَعَلَّكم تَذَكَّرون** ﴾ [15] ، وقوله : ﴿ **تَساءَلون بهِ والأَرْحام** ﴾ [16] ، وقوله : ﴿ **مالكُم لا تَناصَرون** ﴾ [17] ، وقوله أيضاً : ﴿ **تَكادُ تَميَّزُ من الغَيْظ** ﴾ [18] وأمثال ذلك ، في القرآن ، عديدةٌ كما يقول برجشتراسر . [19]

ويحدث مع نون الأفعال الخمسة حين إلحاق نون الوقاية بها قبل ضمير التّكلّم

المنصوب ، وحين توكيدها بنون التّوكيد كذلك . يقول سيبويه : « بلغَنا أنّ بعض القُرّاء قَرأ : أتحاجّوني [20] » [21] وهي قراءة نافع وأبو جعفر وغيرهما .[22] وقال أيضا : « وإذا كان فعل الاثنَين مرفوعاً وأدْخلتَ النّون الثّقيلة ، حذفْتَ نون الاثنين لاجتماع النّونات ... وإذا كان فعل الجميع مرفوعاً ، ثمّ أدخلتَ فيه النّون الخفيفة أوْ الثّقيلة ، حذفْتَ نون الرّفع ، وذلك قولك : لتفْعَلُنَّ ذاك ، ولتذْهبُنَّ ؛ لأنّه اجتمعتْ فيه ثلاث نونات ، فحذفوها اِستثقالاً . » [23]

والأمر ذاته يحصل مع الأدوات (إنَّ ، وَ أنَّ ، وَ لكنَّ ، وَ كأنَّ) ، فكانتْ الصّور المخفَّفة هي الأكثر وروداً في القرآن الكريم والأكثر في الاستعمال مقارنةً بتلك المثْقلة باجتماع المثلين رغبةً في التّسهيل على النّطق واقتصاد الجهد . فقد وصلتْ في القرآن مثلاً (إنّي) إلى (124) مرّةً مقابل (إنّني) التي اِكتفتْ بورودها (6) مرّات فقط ، كما وصلتْ فيه (إنّا) إلى (33) مرّةً مقابل (إنّنا) مرّةً واحدةً .[24]

وتتكرّر الحال نفْسها مع مضارع الثّلاثي المزيد بهمزة في (أفْعَلَ) ، فحين إسناد هذه الصّيغة إلى مورفيم المضارعة الخاصّ بالمتكلّم المفرد (أ) ، تجتَمعُ لديْنا همزتان في مقْطعين متتاليين في بداية الكلمة (أُأَفعِلُ) ، فإذا كانتْ الهمزة الواحدة صوتاً عَصيّاً على النّطق تخرج باجْتهاد كما قال سيبويه [25] ، كونها صامتاً حُنْجريّاً اِنْفجارياً ذا طبيعةٍ خاصّة لا يشاركه فيها صوت لغويّ آخر ، تحتاج في إخراجها إلى حركتين نُطقيتيْن متواليتين تجْهدان الآلة المصوّتة كثيراً ، تبدآن بتصلّب الوترين الصّوتيين وانطباقهما في منطقة المزمار ، فيقطعان النّفَس من خلال سدّهما المجرى الحنجري ، فيتقوّى الضّغط ويزداد التّوتّر ، ثمّ ينفصل الوتران عنْ بعضهما البعض بشكلٍ مفاجئ ، ممّا يترتّب عليه خروج النّفَس محدثاً اِنفجاراً يمثّل صوت الهمزة .[26]

هذا حال الهمزة الواحدة ، فما بالك بالهمزتين المجتمعتين . يقول سيبويه : « فليس من كلام العرب أنْ تلتقي همزتان فتُحقّقا . » [27]

ويقول الأخفش : « إذا اِجتمعتْ همزتان في كلمةٍ واحدة ، أبْدلوا الآخرة منهما أبداً . » [28]

وإحساساً منها بهذه الصّعوبة البالغة في نطـــــــق الهمزة بشكلٍ عامّ ، والهمزتين المجتمعتين على وجه الخصوص ، حرصتْ اللّغة العربيّة ، والنّاطق العربيّ طرفٌ فيها ، على تجنّب مثل هذه الحركات النّطقيّة المُكْلفة والتّخلص منْ إحدى الهمزتين وبالتّالي إسقاطها من النّطق اِقْتصاداً في الطّاقة المبذولة وتخفيفاً على المتكلّم آداء نفس الصّامت من حجْم الهمزة ، مرّتين متتاليتين ، فأبقتْ على همزة المضارعة لوظيفتها اللّغويّة في هذا البناء ، واطّرحتْ الثّانية في مثل : أُأَكْرِمُ ، و أُأَخْرِجُ . يقول ابن عصفور : « كما أنّهم قالوا : أكْرمَ ، وأصله : أُأَكْرِمُ ، فحذفوا الهمزة الثّانية اِستثقالاً لاجتماع الهمزتين »[29] ، ثمّ جاء القياس فعمّم هذا التّخفيف على جميع الصّيغ الأخرى توحيداً للباب على نسقٍ واحد ، فانْضاف بهذه الكيفيّة التّخفيف الذّهنيّ إلى التّخفيف العضليّ ، حتّى لا يتيه الذّهن في التّمييز بين صيغ التّمام ، والصّيغ المخفّفة . يقول الفارسي : « والإعلال إذا لزم مثالاً ، اِتّبعَ سائر الأمْثلة العاريّة من الإعلال ، كإعلالهم : يقومُ لـ : قامَ ، وَ إعلال : يُكْرِمُ من أجل : أكْرَمَ ، وَ أعِدُ لـ : يَعِدُ . » [30]

ويقول إبْن عصفور كذلك في نفس الشّأن بعد ذكره للحذف الواقع على الهمزة الثّانيّة : « ثمّ حملوا : تُكرِمُ وَ نُكرِمُ وَ يُكرِمُ على أكْرم . »[31]

وقبل أن نعرض عيّنة نموذجيّة دالّةٌ على صـــور المخالفة بين المثلين المتتاليين عنْ طريـق الاستغناء عنْ أحدهما مُطْلقاً ، لابأس أن نعـــرّف بنظرية المفاضلة (Optimality theory) ونعرض الآليـــات التي تشتغل بها كونها الإطار النّظري الذي نعالج ضمنه هذه السيرورة الفونولوجيـة :

بداية نشير إلى أنّنا نتبنّى في طرحنا هنا ، مبادئ وقيود نظرية المفاضلة Optimality Theory المُبلورة في Prince & Smolensky (1993) وَ McCarthy & Prince (1993) وَ(Ka-ger 1999) ، والفكرة المركزيّة التي تقوم عليها نظريّة المفاضلة ، أنّ نحوها غير الاشتقاقيّ وغير التّمثيليّ الذي لا يعترف بالعمليات المُبلورة على شكل قواعد مرتّبة خطّياً على نحـوٍ ما ، جهازٌ لتفاعل قيـودٍ Constraints من سماتها أنّها كونية Universal ، لكنّها قابلة للخـرق والانتهاك .

وهي الفكرة التي من شأنهـا أن تجسّد جوهـر الاختلاف بين معالجةٍ تؤطّرها نظريّة المفاضلة ، وأخرى تؤطّرهـا النّظريّة الاشتقاقيّـة Theory Dirivational ، ذلك أنّ التّعبير عن التّفاعـل ، في النّمـاذج الاشتقاقيّة ، يتـمّ من خلال التّرتيب الخطّيّ لقواعد إعادة الكتابـة Rewrite rules ، بينمـا يتمّ ، في نظريّة المفاضلة ، عن طريق التّرتيب الهَرَميّ للقيود الكونية القابلة للانتهاك بصورةٍ أدنوية[32] Minimal .

ومن أهـمّ المقوّمات التي يرتكز عليها نحو نظريّـة المفاضلة لتأديـة وظيفته المركزيّـة المشار إليها أعلاه ، والتي تكرّس اِفتراقه عن أنحاء النّظريات الاشتقاقية ، مـا نحدّده في النّقاط الثّلاث التّاليـة :

_ المولّد Generator :

يقوم بوظيفة توليد وإنتاج مجموعةٍ لا نهائيّةٍ من الخروج Outputs والتّمثيلات المرشّحة الممكنة والمنطقيّة المرتبطة بدخلٍ مُعْطى ، دون أدنى قيدٍ أو شرط (بكلّ حرّية) .

_ القيود Constraints :

قائمـةٌ من المطالب اللّغوية الكونيّة القابلـة للانتهاك والمتفاعلة فيمـا بينها[33] وِفْق هرميةٍ صارمةٍ ترْعى السّلامة البنيويّة Well-Formedness للخـــروج المرشّحة التي ليس بإمكانها موافقتها دائماً[34] ، لكنّ تنظيمها يكون بحَسَب كلّ لغةٍ على حدة ، ذلك أنّ نحـــو لغة معيّنة يُنظر إليـه على أسـاس أنّه ترتيبٌ خاصٌ للقيـود الكونية من شأنـــه أن يفسّر درجـــات الاختلاف بين اللّغـــــــات .

ولم تكـــنْ القيـود متفاعلـــةً في نظريّـــة المفاضلـــة ، إلاّ بعدمـا كانتْ عبـارةً عن مجموعـةٍ من القـوى المتضـادّة يحرّكها نوعـان من القيـــود ، همـــا قيـود الموسومية Mar-kedness Constraints ؛ التي تحـاول مراقبـة سلامـــة الخـروج المرشّحـــة بنيويّاً ، وقيـود المحافظة Faithfulness Constraints التي تَسْتوجـب تماثلاً جزئيّاً أوْ تامّاً بين بُنية الدّخل

Input وبُنيـة الخـرج Output .

_ المقوّم Evaluator :

يقـــوم على ترشيـد التّحاليل المرشّحة وتقويمها بالنّظـر إلى درجاتها التّلاؤميـــة مع نَسَـــق القيـــود الكونيّة لاختيـار أنسبهـا كخـرجٍ أفضـل .[35] فالخـرج الأفضـل على هذا الأساس ، هو الذي ينْضبط للقيـود الأعلـى ترتيباً في الهرميـة ، وإنْ كان قـد يتعـرّض بالخـرق أحياناً للقيـود الأدنـى ترتيبـاً ، لأنّ نظريّـة المفاضلة لا تعتـرف بوجـود أنساقٍ نحويّةٍ مثاليّةٍ تستجيـب لجميـع القيـود .

يُميَّز الخرج الأفْضـل ، عنْ باقـــي القيود المرشّحة الأخـرى ، بإشـارة أصبعٍ (☚) ، بينما يُرمـز للقيد المنتهَك بنجمـة (*) ، وبالانتهاك القاتِل والحاسِم بعلامة تعجّب (!) .

تُدرَج هذه العلامـات في مكانها المناسـب على مستـــــوى خانات الجَـدول المحتضِـن للخروج المرشّحة التي تتتـالى عموديّاً في يمينه بالنّسبة للّغة العربية ، والمحتضِـن كذلك للقيود المرتّبة أُفقيّاً وفـق علاقـة الاحتـواء بينها في خاناته العُليا ، بحيـث يسبق الأقوى فالذي يليه وهكـذا ، أمّا خانـــات جدول المفاضلة البيضاء فهي علامـــة على إرضاء القيـود ، بينما تمثّل الخانات المظلّلة عـدم فاعلية قيودها في حسم المفاضلة .[36]

والواضح من خلال ما سردنـاه ، أنّ الاهتمام في نظريّة المفاضلة ليس موجّهاً للبحث في طبيعة العمليات الاشتقاقية التي تربط الدّخـل بالخرج ، ولا في أساليب التّمثيـــل للعلاقة بين الدّخل والخرج ، بقدر ما هـو موجّـهٌ تحديداً نحـو تقويـم الخروج المُمْكنة لاختيـار الخـرج الأفضل الذي ينتهك القيـود المُهيْمنة انتهاكاً أدنويـاً .[37]

العيّنـــــــة : [38]

(1)

أ :	أ أ : *
_ تذَكّـــرون	_ تتَذكّـــرون
_ تَزكّـــــى	_ تَتَزكّـــــى
_ تَقاتلـــون	_ تَتَقاتلـــون
_ تَناصرون	_ تَتَناصرون
_ تَنـــــزّلُ	_ تَتَـــــنزّلُ
_ تظنّـــى	_ تظنَّـــــنَ
_ تســـرّى [39]	_ تســـــرَّرَ
_ تمطّـــى [40]	_ تمـــطَّطَ
_ تقضّـــى [41]	_ تقضَّـضَ
_ تصـــــدّى [42]	_ تصـــــدَّدَ

_ لبّـــــى [43]	_ لبَّـــــبَ
_ دَسّـــــى [44]	_ دسَّـــــس
_ أكْـــــرمُ	_ أُأَكْـــــرم
_ تَساءلـون [45]	_ تتَساءلـونَ
_ تَصدّقــوا [46]	_ تَتَصَدَّقــوا
_ تَظاهَرونَ	_ تَتَظاهَرونَ
ب :	ب ب : *
_ تحاجّوني	_ تُحاجّونَني
_ تشاهدينا	_ تشاهدينَنا
_ إنّـــــي [47]	_ إنّنـــــي
_ لتنْصرانّ	_ لتنْصرانِنّ
_ لتركبُـــنَّ	_ لتركبُونَـــنَّ
_ لتضرُبِنَّ	_ لتضرُبِينَنَّ
ج :	ج ج : *
_ ظَلْت [48]	_ ظلِلْـــت
_ مَسْت	_ مَسسْت
_ خُـــذْ	_ أُأْخُـــذْ
_ مُـــرْ	_ أُأْمـــرْ
_ كُـلْ	_ أُأْكُـــلْ
_ رَ	_ اِرْأَ
_ اِسْتَحيْت [49]	_ اِسْتحيَيْت
_ قَـــــرْنَ [50]	_ اِقْـــرَرْنَ
_ أحَسْـــت [51]	_ أَحْسَسْت

يَظْهر من خلال العيّنة **(1)** : أأ ، ب ب ، ج ج ، أنّ تكوينها كان سيّئاً Ill-formed بسبب جمعها ، في بنية المقطع الواحد أوْ في المقطعين المتتابعين ، بين قِطَع صوتيّةٍ متماثلة ، معنى ذلك أنّ خرقها للقيد المانع لتوارد القِطَع المتماثلة المتجاورة كان مُكْلِفاً ، والنّتيجة هي أنّ بناءها شكّل عائقاً أمام النّطق السّهـــــل المُريح وأعْطى اِنطباعاً عامّاً لـــدى النّاطق العربيّ بثقل آدائها فونيتيكيّاً . فإذا أخذْنا على سبيل التّمثيل الأفعال المهموزة في صيغة الأمر ، وجدْنا أنّها جمعتْ في صدر كلٍّ منها همزتين متجاورتين في نفس المقطع ، وهو ما يمكن أنْ يترك أثراً بالغ

الصّعوبة حين تحقيق هذه البنى آداءً ، بالإضافة إلى ما يترتّب عليه من نفور الذّوق وإشمئزاز الحسّ اللّغوي ، فلا تكاد تستسيغه الأسماع ولا تقبل به اللّغة في بناء مفرداتها . فالهمزة صوتٌ عصيٌّ على النّطق ، واجتماع الهمزتين في نفس المقطع ، سوف يكلّف النّاطق مشقّةً وجهداً زائدين لا حاجة له بهما ، فأسقط الثّانيّة ، وكان سقوطها سبباً في سقوط الأولى ، وبذلك يكون قد تخلّص من مقطعٍ على غايةٍ في الصّعوبة ، يقول ابن الشّجري معلّلاً ما حدث من حذفٍ في مثل هذه الصّيغ : « ثَقُل عليْهم اجتماع همزتين فيما يكثر استعماله ، فأسقطوا الثّانيّة ، فوجب بإسقاطها إسْقاط الألى ، لأنّها همزة وصل ، وهمزة الوصل إنّما اجتُلبت توصّلاً إلى النّطق بالسّاكن ، فإذا سقط السّاكن الذي لأجله تجتَلب ، أُسْتُغنِيَ عنها . » [52]

فإذا كان أنْ خالف النّاطق العربيّ بين الهمزتين المجتمعتين فحَذف إحداهما ، فإنّه قدْ خالف بينهما منْفصلتين في مضارع الفعل الثّلاثي المهموز الوسط المسْند إلى ضمير المتكلّم المفرد فأسقط الثّانيّة وأبْقى على همزة المضارعة لوظيفتها اللّغويّة ، ثمّ عمّم القياس هذا الحذف على جميع الصّيغ الأخرى (ترى ، يرى ، نرى ، ترِيا ، ترِيْن ، يرِوْن ...) طرداً للباب على نسقٍ واحدٍ . يقول برجشتراسر : « ومنْ (أرى) سرى الحذْف إلى (يرى) ، وَ إلى (يُري) الخ . » [53]

على عكس ما يُظهره الجانب الأوّل من العيّنة المختارة في **(1)** : أ ، ب ، ج ، فقد جاء بناؤها حسناً well-formed ، كونها تخلّصت من العلّة التي ميّزت الوحدات اللّغويّة المقابلة وخالفتْها في بنائها فلمْ تجمع بين المتماثلات ، الأمر الذي مكّنها منْ الانسياب على اللّسان بلُطْفٍ والجريان في الفمّ بيُسْر . ولعلّ ذلك راجعٌ إلى إنْضباطها للقيد العامّ الذي له تجلّياته المختلفة في اللّغات البشريّة ، ممّا جعل الباحثين يُدْرجونه ضمن الكلّيات اللّغويّة . [54] نعيد تشكيله وفْق الصّياغة التّالية : [55]

(2) (م م إ) / 1 مق 2 E مق ß

يحظر كلّ تجاورٍ لكيانين صوتيين متماثلين في بنية المقطع الواحد أوْ في مقْطعين متواليين .

والقيد **(2)** هو قيدٌ منْ قيود الموسوميّة ، يتنازع هذه البنى مع أحَد قيود المحافظة التي تحرص على مُطابقة الوحدات اللّغويّة في الخروج للدّخْل المتناسلة عنه ، حيْث لا تغيير ، نعيد صياغته كالتّالي :

(3) مح د _ خ / مط

يجب مُطابقة الخروج المرشّحة ، في بنائها ، لبُنْية الدّخل .

ويبدو أنّ تفضيل اللّغة للْوحدات اللّغويّة في **(1)** : أ ، ب ، ج ، يستند إلى هرميّةٍ يكون فيها قيد الموسوميّة **(2)** هو المتحكّم ، نوردها كما يلي :

الهرميّـــة :

(4) (م م إ) / 1 مق 2 E مق ß » مح د _ خ / مط

منْ شأْن هذه الهرميّة أنْ تسْمح ببروز الوحدات اللّغويّة التي إلتزمتْ المخالفة في بُناها حين التّأليف بين الصّوامت ، فلمْ يظهر فيها توالي المتماثلات التي تشكّل ثِقَلاً في النّطق ، ذلك أنّها تسْتدعي إزدواجيّة الحركة النّطقيّة وَ تِكرارها لإخراج الصّامتين في نفس اللّحظة تقريباً .

إلاّ أنّ اعتماد هذه الهرميّة كما هي عليْه الآن وبقيْدين فقَطْ ، قد تواجه بعض الصّعوبات ، ذلك أنّه ليس بإمكانها أن تميّز بين أفضليّة الصّيغة التي يسْقط منها الصّامت المكرَّر نهائياً ، من تلك التي قد يُدغَم فيها بالصّامت الموالي ، فاللّغة تلجأ أحياناً إلى حيلة الإدغام لتجاوز الحظر الذي يفرضه القيد **(2)** والتّخلّص من التقاء المثلين عندما تعْمد إلى إدخال أحدهما وإدغامه في مثْله أو مجانسه الموالي بعد التّخلّص من المصوّت الفاصل ، لأنّ الآلية التي تشْتغل بها نظريّة المفاضلة ، تخوّل لها اختيار خرجٍ واحدٍ فقطْ يكون الأكثر تناغماً وانسجاماً مقارنةً بغيره من الاحتمالات الأخرى .

ولمّا كانتْ اللّغة تجنح دائماً نحو الخفّة ، وتحاول _ ما مكّنها الدّلالة من ذلك _ التّقليل من المجهود العضليّ لدى المتكلّم ، فإنّنا نعتزم الاستعانة بقيدٍ يراعي هذا الجانب فيُقصي الصّيغة الأثقل ، ولعلّها الصّيغة التي حدث بها الإدغام وإنْ كانت تمثّل أحياناً شيئاً واقعاً في متن اللّغة ، وسوف يكون منْ قيود المحافظة ، نعيده هنا وفق الآتي :

(5) مح د _ خ / كم مخ

يجب المحافظة على كمّية مواضع النّطق في الخروج كما كانت عليْه تماماً في الدّخل ، حيث لا صهر ولا امتداد .

يرتّب هذا القيد من الهرميّة في نفس مستـــوى القيد **(2)** فيساويه في الرّتبة ، وبذلك تصبح الهرميّة الجديدة على الشّكل التّالي :

الهرميّـــة :

(6) (م م إ) / 1 مق 2 E مق ß = مح د _ خ / كم مخ » مح د _ خ / مط

نقيس مدى نجاعة هذه الهرميّة في تحديـــد الصّيغ حسَنة التّكوين ، من خلال جدول المفاضلة التّالي :

جدول التّحليـــل :

(7)

الدّخل : / تَتَذكّرون /		(2)	(5)	(3)
1	☚ تذكّـرون			*
2	تَتَذكّرون	*!		
3	تَذَكّـرون		*!	*
الدّخل : / تَتزكّـــى /				
4	تَتزكّـــى	*!		
5	☚ تَزَكّـــى			*
6	تَزّكّـــى		*!	*
الدّخل : / تَتَساءلون/				
7	تَسّاءلـون		*!	*
8	تَتَساءلون	*!		
9	☚ تَساءلـون			*
الدّخل : / لتنصرانِنّ /				
10	لتنصرانِنّ	*!		
11	☚ لتنصـرانِّ			*
الدّخل : / ظَلِلْـــت /				
12	☚ ظَلْـــت			*
13	ظَلِلْـــت	*!		
14	ظَلّـــت		*!	*
الدّخل : / اِسْتَحييْت /				
15	☚ اِسْتَحَيْـت			*
16	اِسْتَحيّـت		*!	*
17	اِسْتَحْيَيْت	*!		

الدّخل : / أُأَكـــرم /				
18	☚ أُكـرم			*
19	أُأَكـرم	* !		
الدّخل : / أُأْكـــل /				
20	أُأْكـــلْ	* !		
21	☚ كُـــلْ			*
الدّخل : / أرْأى /				
22	أرْأى	* !		
23	☚ أرى			*

يُظهِر جدول المفاضلة **(7)** مجموعةً من الاحتمالات المُمْكنة ، اِحتكمتْ إلى ثلاثة قيودٍ متسلسلةٍ هرميّاً بالنّظر إلى أهمّيتها في تحديد الصّيغ سليمـة التّكوين ، فرُجِّحتْ الخروج (1) ، (5) ، (9) ، (11) ، (12) ، (15) ، (18) ، (20) وَ (23) على باقي الاحتمالات الأخرى ، فكانتْ مثالاً للبنى الأحْسن تكويناً في اللّغة بالنّظر إلى خفّتها على اللّسان وعذوبة وقعها على الأذن .

هذا لا يعني أنّ بقيّة الخروج الأخرى مُهملةٌ في اللّغة أوْ هي غير مُستعملةٍ فيها ، فالواقع اللّغـــــــويّ يُثبت عكـــــــس ذلك ، فالخروج (ظلِلْت) ، وَ (اسْتحْيَيْت) ، وَ (تَذّكّرون) ، وَ (تَتَذكّرون) ، وَ (وتَزّكّى) ، وَ (تَتَزكّى) مثلاً ، متداولةٌ في اللّغة إلاّ أنّها لثِقَلها مقارنةً بالخروج الفائزة ، تمّ اِسْتبعادها حين المفاضلة .

الهوامـــش :

(1) ينظر في هذا الشّأن الأعمـــــال التي قدّمها (Alderete 1997) وَ (Ito & Mester 1998) بخصوص التّضعيف وقيود التّأليف في اللّغات لرصد تأثيرات مبدأ المحيط الإجباري .

(2) ينظر : العربيّة الفصحى ، هنري فلاش ؛ نحو بنـــاء لغوي جديد ، تعريب : عبد الصّبور شاهين ، دار المشرق ، بيروت ، ط2 ، د.ت ، ص : 46 .

(3) شرح الملوكيّ في التّصـــريف ، ابن يعيش ، تحقيـــق : فخر الدّين قباوة ، دار الملتقى ، حلب ، ط3 ، 2005 ، ص : 451 .

(4) الكتـــاب ، سيبويـــه ، تحقيق عبد السّلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، 4 / 417 .

(5) شرح الشّافيّـــة ، الاسترأبادي ، تحقيـق : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ومحيي الدّين عبد الحميد ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 3 / 238 .

(6) التّسهيل ، ابن مالك ، تحقيـق : محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي ، للطّباعة والنّشر ، د.ط ، 1967 ، ص : 172 .

(7) شرح الشّافيّـــة ، 2 / 147 .

(8) فقه اللّغات السّاميّة ، كارل بروكلمان ، ترجمة : رمضان عبد التّواب ، مطبوعات جامعة الرّياض، 1977 ص : 79 .

(9) اللّغـــة ، جوزيف فندريس ، تعريـــب : عبد الحميد الدّواخلي ومحمد القصّاص ، مكتبة الإنجلو مصرية ، القاهـــــــــــــرة ، د . ط ، 1950 ، ص : 94 .

(10) ينظر : حذف تاء (تتفعّلُ) وَ (تتفاعل) في القرآن الكريم ، ص : 3 .

(11) فقه اللّغات السّاميّـــة ، ص : 79 .

(12) شرح الشّافيّـــــــــة ، 3/ 290 .

(13) معاني القـــرآن ، الفرّاء ، 1 / 284 .

(14) ينظر : التّطور اللّغويّ ؛ مظاهره وَعلله وَقوانينـــــــــه ، رمضان عبد التّواب ، مكتبة الخانجي ، القاهـــرة ، ط1 ، 1983 ص : 45 .

(15) الأنعـــــام 152 .

(16) النّســـــــاء 1 .

(17) الصّافّـــات 25 .

(18) الملـــــــــك 8 .

(19) ينظر : التّطوّر النّحويّ للّغة العربيّـــة ، برجشتراسر ، تحقيـــــق : رمضان عبد التّواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1997 ص : 70 .

(20) في سورة الأنعـــام 80 .

(21) الكتـــــــاب ، 3 / 519 .

(22) ينظر : إتحاف فضلاء البشـــر في القراءات الأربعة عشر ، الدّمياطي ، صحّحه وعلّق عليه : علي محمد الضّباع ، دار النّدوة الجديدة ، بيروت ، د.ط ، د.ت ص : 212 .

(23) الكتـــــــــاب ، 3 / 519 .

(24) ينظر : التّطور اللّغوي ؛ مظاهره وعلله وقوانينـــــــــه ، ص : 46 .

(25) ينظر : الكتـــاب ، 3 / 548 .

(26) ينظر : وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في التّواصل اللّســانـــــي ، أحمد طيبي ، رسالة ماجستير بقسم اللّغة العربية وآدابها ، جامعة تلمسان ، 2003 ص : 118 .

(27) الكتـــاب ، 4 / 549 .

(28) معاني القرآن ، الأخفش سعيد بن مسعدة ، تحقيق: فائز فارس ، الكويت ، ط2 ، 1981 ،1 / 42.

(29) الممتع في التّصريف ، ابن عصفور ، تحقيـق : فخر الدّين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ، 1978ص : 280 .

(30) الحجّـــة ، الفارسي ، حقّقه بدر الدّين قهوجي وبشير جويجـــاتي ، دار المأمون للتّراث ، دمشق ، ط1 ، 1984 ، 1 / 180 .

(31) الممتع في التّصريـــف ، ص : 280 .

(32) See : Kager (1999) , Optimality Theory , Cambridge University Press 9, P : 12 .

(33) See : Prince & Smolensky (1993) , P : 26 , Bird (1995) , P : 31 , Boltansky (1999) , P : 113 , Kager (1999) , P : 12-13.

(34) ينظر : النّظريّة التّفاضليّـــة ، كاجيـر ، ترجمة فيصل بن محمد المهنّا أبا الخيل ، مركز التّرجمة بجامعة الملك سعود ، الرّياض ، المملكة العربية السّعودية ، 2004 ، ص : 11 .

(35) See : Heiberg (1999) , P : 58 , Archangeli (1997) , P : 14 , McCarthy & Prince (1997) , P : 58.

(36) ينظـر : الأفعال المعتلّة ؛ مقاربة أمثليّة ، عبد الرّزاق تورابي ، منشـــــورات معهد الدّراسات والتّعريب ، الرّبـاط ، 2004 ، ص : 284- 285 .

(37) ينظـر : بنية الكلمـة في اللّغة العربيّـة ، تمثيلات ومبـادئ ، محمـد بلبول ، منشـورات فكـر ، الرّبـــــــــاط ، ط1 ، 2008 ، ص : 34 .

(38) ينظر : الكتاب ، 4 / 421-422 ، 476 ، الخصائـــــــص ، تحقيق محمد علي النّجار ، المكتبة العلمية ، د . ط ، د . ت ، 2 / 90-91 ، اللّمع في العربيّة ، ، تحقيـــق : حسين محمد شرف ، عالم الكتب ، ط1 ، 1979 ، ص : 275 ، الأمالي الشّجريّة ، ابن الشّجـــري ، 1 / 390 ، البحر المحيط ، أبو حيّان ، 8 / 425 ، المقتضـــــب ، 1 / 272 ، 2 / 397 ، المفصّل في علم العربيّة ، ص : 480 ، 518 ، شرح المفصّل ، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، 1 / 119 ، شرح الشّافيّة ، 3 / 292 ، شرح اِبن عقيل ، 2 / 315 ، المفتاح في الصّرف ، 62-61 .

(39) قال ابن السّكيت أنّ أصل تسرّى الجارية : تسَرَّرَ من السّرور .. كما قالوا : تقضّى من : تقضَّضَ . ينظر : الصّحاح (سرر) . وجاء عن اِمرئ القيس قولـــه :* فسُلّي ثيابي من ثيابك تنْسلي * أراد : تنْسَلِلُ . وعن مجنون بن عامر :

إنّي لأستنْعي وما بيَ نعسةٌ * لعلّ خيالاً منك يلْقى خياليا

أراد : أسْتنْعِسُ . ينظر : البرهـــــان في علوم القرآن ، 3 / 389 . هنا خولف بين المثلين عن طريق التّخلّص من المقطع الذي يشمل المثْل الثّانيّ وَحركته بأكمله ، وعُوّض عنه بتمديد حركة السّابق .

(40) قال اِبن الشّجري : « وكان الأصـــل (يتمطَّط) ... كما قالوا : يتظنَّن : يتظنّى . » الأمالي الشّجريّة ، 1 / 390 ، قال تعالى : ﴿ **ثمَّ ذَهبَ إلى أهلِه يَتَمطّى** ﴾ ، القيامـــــــــــة 32 .

(41) يقول ابن جنّي :« وهو الأصل منْ تركيب (ق ض ض) . » الخصائص ، 2 / 90-91 .

(42) قال أبو حيّان : « وأصله (تصدَّد) من الصّدد . » البحر المحيط ، 8 / 425 ، قال تعالى : ﴿ **أمّا من اِسْتَغنى ، فأنْتَ لهُ تَصَدّى** ﴾ ، عبس 5 6 .

(43) لبّى وَ لبَّب بمعنى : أقام ، ينظر : شرح المفصّل ، 1 / 119 .

(44) قال تعالى : ﴿ **وقَدْ خابَ منْ دسّاها** ﴾ ، الشّمس 10 .

(45) وجاء في قراءة الآية الكريمة : ﴿ **تَساءَلونَ بهِ والأَرحام** ﴾ النّساء 1 ، وَ هي قراءة نافع ، وأبوجعفر، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، بإدغام « التّاء « عند « السّين « . ينظر : النّشر، ابن الجزري ، دار الكتب العلميّة ، د.ط ، د.ت ، بيروت ، 2 / 247 ، وينظر كذلك : معاني القرآن، الفرّاء ، تحقيق : محمد علي النّجار و أحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2 ، 1955، 1 / 253 .

(46) ﴿ **وأَنْ تَصَدّقوا** ﴾ ، البقرة 280 . قرأ العشرة إلاّ عاصمًا بتشديد الصّاد. ينظر: النّشر، 2 / 236.

(47) قال تعالى : ﴿ **إنّي رَأَيْتُ أحَدَ عشَرَكَوكَباً** ﴾ ، يوسف 4 .

(48) قال تعالى : ﴿ **ونْظُرإلى إلاهِك الذي ظَلْتَ عليهِ عاكِفاً** ﴾ ، طه 95 ، ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ، 2 / 342 .

(49) قال تعالى : ﴿ **إنَّ الله لا يَسْتَحي أنْ يَضْرِبَ مثَلاً ما بَعوظَةً فما فَوقَها** ﴾ ، البقرة 25 ، وهي قراءة ابن كثير . ينظر : الكشّاف ، الزمخشري ، تحقيق وتعليق : محمد مرسي عامر ، دار المصحف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، 1 / 264 .

(50) قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ في بُيوتكن ﴾ ، الأحزاب 33 ، قال الفرّاء : « أرادوا : واقْرَرْنَ في بيوتكُن ، فحذفوا الرّاء الأولى ، فحُوّلت فتحتها إلى القاف . » معاني القرآن ، 2 / 342 .

(51) ينظر : فقه اللّغات السّامية ، ص : 79 .

(52) الأمالي ، 2 / 16 .

(53) التّطور النّحوي للّغة العربيّة ، برجشتراسر ، تحقيق : رمضان عبد التّواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1997 ، ص : 41 .

(54) See : McCarthy (1986).

(55) (م م إ) : قيد يحظر تجاور كيانين صوتيين متماثلين ، الرّموز : « 1 مق » : مقطع واحد ، « 2 مق » مقطعين ، « E »: صوتان متماثلان ، « ß » : يعني التّجاور اللّصيق .